

حضارة الغرب وصرعاتها المجنونة

الكاتب



علي محمد فخرو

د. علي محمد فخرو

هذا السقوط المتعظم في مكانة وأهمية وضرورة القيم الروحية والأخلاقية والسلوكية في الحياة الإنسانية، والذي تضاف إليه صور متعاطمة متكررة لكل أنواع الرذائل، بكل أنواعها البذيئة العبيثة، أصبح قضية عالمية خطيرة كبرى

وكالعادة يبدأ الأمر في بعض الدوائر الغربية، الأوروبية والأمريكية، حيث توضع اللبنة الأولى وتغطي بألف قناع من أفتنة الحق الذي يراد به باطل، وتقدم على الأخص كمواظ في الحرية والحقوق الإنسانية، ثم تسلم إلى ماكينة الإعلام والإعلان الغربية البالغة الكفاءة بالتلاعب بالألفاظ والخبرة وفي التلاعب بالعقول والنفوس لنشرها في أشكال لا تعد ولا تحصى من التعبيرات الفنية والأدبية والفكرية الحقوقية

هذا ما حصل من هجمة هائلة لتغيير وتشويه حقل التربية والتعليم، وتعريفات المواطنين الشخصية، ونظم الزواج وهتافات الرياضة، ومشاهد الأفلام والمسلسلات، وشتى المناقشات الإعلامية مع الأخصائيين والمواطنين، وذلك كله بهدف قبول كل أنواع وبذات القيم السلوكية الأخلاقية الشاذة الجديدة

ما عاد لتاريخ السلوك الإنساني المتعارف عليه، وحاجاته الروحية السامية، وما تقوله الديانات ومدارس علم النفس وتحذيرات الأطباء، وما عبر عنه الأدباء والفلاسفة عبر القرون، وما أوصلت إليه شبكات التواصل الاجتماعي من انحرافات مجنونة بائسة، ما عاد لكل ذلك أي قيمة عند من فجروا زوبعة الرفض التام لكل الضوابط الأخلاقية في ماهية الإنسان، وبالتالي لكل قيم الفضائل والسمو الروحي التي تقوم عليها كل تلك الضوابط

لسنا معنيين بإجراء حوار مع حضارة الغرب ذات الوجهين. فالغرب لم يمنعه رفع شعار الحرية من ممارسة تجارة شراء وبيع العبيد الأفارقة، ولا شعار الأخوة الإنسانية من ممارسة ظاهرة استعمار الأوطان والشعوب وذبح الملايين من

سكانها الأصليين المسالمين، ولا شعار المساواة من نهب واستباحة ثروات الآخرين. وبالتالي هناك ألف شك حول صحة ضميره وحول فهمه السوي للعدالة وحول التقليل من نهمه المادي والرغائبي المتعاضم. ويكفي الإشارة إلى أن نحو خمسين في المئة من مواليد الكثير من بلدانه هم نتيجة العلاقات الجنسية العابرة المنكرة لمؤسسة الزواج وغير المعنية بالروابط العائلية.

ما يهمننا هو التوجه إلى شابات وشباب هذه الأمة العربية لمناقشة الأمر وإبراز المخاطر والتحذير من قدوم الكوارث الاجتماعية من خلال الظاهرة الجديدة التي فجرها وينشرها الغرب الأوروبي والأمريكي في العالم كله. دعنا نذكرهم بأن اقترابهم من هذا الموضوع، باسم التمدن أو الحرية الشخصية أو الثورة على الأعراف، ستدخلهم في الحال في معركة طاحنة مع الجزء الديني الإسلامي والمسيحي من ثقافة الملايين من أبناء أمتهم. وهي ثقافة تمثلها بالنسبة لهذا الموضوع الآيات القرآنية المبيثثة في القرآن الكريم من مثل «ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، ومثل «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم»، ومثل «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»، ومثل «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»، ومن مثل «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي». وهناك عشرات الأحاديث النبوية من مثل «الحياء من البر»، ومثل «... وإن صاحب حسن الخلق» ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة.

في الديانتين يعد الخلق جزءاً أساسياً مكملاً للعقيدتين

وبالتالي على الشباب والشابات أن يتجنبوا الدخول في تلك المواجهة مع شعوبكم التي يراد لها أن تبعدكم عن الاهتمام بأمور معيشتكم وكرامتكم الإنسانية ولعبكم دوراً في انتقال مجتمعاتكم إلى عوالم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحقوق الإنسانية السامية

وفي الحقيقة، فإن إدخالكم في هذه الصرعة الجنونية العابثة الجديدة هي تنمة لكل صرعات النيوليبرالية من مثل الفردية المنفلتة والاستهلاك المادي النهم والتهليل لموت دولة الرعاية الاجتماعية وتجاهل الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني النضالية

إن رفضكم للدخول في هذه الصرعة سيكون إعلاناً منكم بأن ثقافة أمتكم هي غير ثقافة الغرب وبأن مقاومكم لها هي تكملة لمقاومة النيوليبرالية ونظامها الرأسمالي